

## الحن والتطور اللغوي دراسة في ظاهرة الحن ومصنفاته وعلاقته بالتطور اللغوي

م.د. قصي جواد محمد الغراوي

### التمهيد

استوت العربية الفصحى وأطردت بما أوتي لها من ظروف في جزيرة العرب مكنت العربي من أن يكون على تواصل مع الأمم المجاورة؛ ولذا تجد العربي ينطق لغته بسجية وعفوية ويتداولها بالسليقة حتى حدث الاختلاط بعد الفتح الإسلامي إذ انتقل العرب إلى المدائن ومصر الأمصار ودخل في الدين مختلف الشعوب ممن لا يحسن العربية فوقع بعد ذلك الخلل في الكلام وبدأ الحن يشيع على السنة الناس<sup>(١)</sup> حتى العلماء منهم<sup>(٢)</sup>، فالحن لم يتسع و يغدو ظاهرة عامة إلا بعد عمليات الفتح زمن عمر بن الخطاب وما بعده حيث اختلاط العرب بالأعاجم ، وأما ما روي عن وجود الحن قبل الإسلام فليس مما يركن إليه ولا سيما إذا أريد له أن يكون دليلا على اتهام الجاهليين ومتقدمي الإسلاميين بالحن والخطأ الذي يوجب الحيطة والاحتباس من

اتخاذهم حجة في اللغة<sup>(٣)</sup>.

وما يرتضى في هذا الجانب هو أن المظاهر الأولى للحن قبل الإسلام وفي عصر النبوة ليس إلا أمثلة محدودة لا تمكن الدارس من أن يستند إليها في تبني حكما قاطعا حول شيوع ظاهرة الحن وذيوها. وإذا ما صحت الأخبار حول الحن في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) وما نسب إليه من أحاديث حول الحن فهي إذن بداية خفيفة لا ظاهرة مطردة .

وعلى الرغم من أن بعض الأحاديث التي نقلت عن الصحابة يذكر فيها (الحن) صريحا بدلالاته الاصطلاحية فإن أخبارا أخرى رويت بعد ذلك - وعن بعض الصحابة - تدل على أن دلالة (الحن) على

الخطأ اللغوي لم تكن معروفة واضحة<sup>(٤)</sup> ؛ ولذلك نرى بعض الدارسين يوهّنون الأحاديث والأخبار التي جرى فيها ذكر

اللحن صريحاً، وبسبب من ذلك نرى بعض الدارسين يذهبون إلى أنّ تحديد الزمن الذي تمّ فيه نقل دلالة (لحن) إلى معنى الخطأ في الكلام تكتنفه صعوبات جمّة بسبب اختلاف الروايات ونقص الأدلة على ذلك<sup>(٥)</sup>.

ومع ذلك نرى الدكتور صبحي الصالح يجتهد في تحديد دلالة اللحن بمعنى مخالفة التعبير الصحيح إذ استبعد أن يكون اللحن قد عرف لدى العرب قبل اختلاطهم بالعجم (فاللحن لم يكتب هذا المدلول إلا في وقت متأخر بعد أن تعارف الناس على تغيير معناه اللغوي الأصلي)<sup>(٦)</sup>؛ لذلك نجده ينفي أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله) بمعنى الخطأ في اللغة أو أنّه حضّ على قراءة القرآن بالإعراب .

ومهما يكن فإن في قصة أبي الأسود الدؤلي مع الإمام علي مصداقاً لذلك (عليه السلام) إذ شكّا له لحن ابنته و ما سمعه من لحن الناس دلالة واضحة على اتساع اللحن وصدوره عن العرب والأعاجم مما حدا العلماء على تدوين اللغة واستنباط القواعد التي تصون اللسان من الخطأ .

إلا أنّ الدكتور حسن عون يخالف ما ذهب إليه أكثر الدارسين من أنّ (اللحن وجد في اللغة العربية قبل الإسلام وإن لم يكن من طبيعة العرب الخلص أن يرتكبه فانه بقي محصوراً فيما بين هذه الطبقة الضعيفة من المجتمع)<sup>(٧)</sup>.

ردّاً على ذلك يقول مصطفى الرافي (بأنّ اللحن لم يكن في الجاهلية البتة وكل ما كان في بعض القبائل من خور الطباع وانحراف الألسنة فإنما هو لغات لا أكثر)<sup>(٨)</sup>.

وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث:

درست في المبحث الاول أنواع اللحن الذي يتخذ أشكالا مختلفة من الاصوات أو الصورة (الصرفية) أو التراكيب النحوية أو الطرائق البنيوية.

والمبحث الثاني درست فيه كتب اللحن في المدرستين البصرية والكوفية وقد قسمته حسب الترتيب الزمني.

والمبحث الثالث درست فيه اللحن إذ عدّ بعض العلماء لحنا وآخر لم يعدّه لحنا (تطورا).

أرجو أن يكون مقبولا بقبول الله تعالى، وما توفيقي الا بالله تعالى، وإليه أنيب.

الباحث

## المبحث الأول أنواع اللحن

### أنواع اللحن

يتخذ الخطأ اللغوي أشكالاً مختلفة ومظاهر شاملة، فيصيب الأصوات اللغوية، أو الصورة البنيوية (الصرفية)، أو التراكيب النحوية أو الطرائق البيانية<sup>(٩)</sup>، وقد عرف هذا في مختلف اللغات الإنسانية ومنها العربية، وفي الآتي ذكر صور الخطأ أو التغيير الذي يقع في الأصوات وفي البنية والتراكيب النحوي وفي دلالة الألفاظ<sup>(١٠)</sup>.

١. في الأصوات: حيث مالت إلى السهولة والتيسير كحذف الهمز الذي استفاض آنذاك في لهجة الحجازيين أخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب.

وتخفف الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي خاصة تلك الأصوات التي لا نظير لها في اللغات الأخرى فتغير حرف الضاد- وهو حرف خاص بالعربية -تحول إلى طاء أو دال مفخمة أو عادية أو طاء أو لام مفخمة.

وهناك تغيير آخر في العربية المولدة وهو يتعلق بالسين والصاد ففي العربية القديمة نجد صيغاً مزدوجة مثل صراط وسراط<sup>(١١)</sup>، وصويق وسويق، وفي لهجة بلعبر أحد أفخاذ تميم يكاد يوجد هذا التغيير باطراد إذا جاء بعد السين أحد الحروف الأربعة الآتية (ط، ق، غ، خ) ولو بفواصل كما روى ذلك أبو الطيب اللغوي<sup>(١٢)</sup> نقلاً عن الفراء وعلم ذلك بقوله إنَّ الطاء حرف تضع لسانك في حنكك فينطبق الصوت فتقلب السين صاداً صورتها صورة الطاء واستخفوا ليكون المخرج واحداً كما استخفوا الإدغام. وهذا التعليل موافق لما ذهب إليه المحدثون<sup>(١٣)</sup> حيث ذكروا أنَّ حروف الإطباق أو التقخيم - وهي (ص، ض، ط) وأضاف بعضهم<sup>(١٤)</sup> (خ، غ، ق)- حين النطق بها يرتفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، لذلك أبدلوا الصاد بالسين كي يرتفع اللسان باتجاه واحد.

ونجد في بعض الألفاظ المولدة قد استعملت الصاد بدلاً من السين في أحوال لم تتوافر فيها الشروط السالفة مثل ( سنام) بدلاً من (سنام) وقد سجل الجاحظ(ت٢٥٥هـ) بعض العبارات من لغة الحديث اليومي والتي توضح بعض الظواهر الصوتية السائدة آنذاك ويظهر أثر الأصوات الأجنبية في نطق بعض المتكلمين باللغة العربية يقول ( ألا ترى أنّ السندي إذا جُلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زائياً ولو أقام في عليا تميم، وفي سفلى قيس ، وبين عجز هوازن خمسين عاماً وكذلك النبطي القح.....لأنّ النبطي القح يجعل الزاي سيئاً؛ فإذا أراد أن يقول زورق قال سورك ويجعل العين همزة)<sup>(١٥)</sup>.

٢. في البنية الصرفية: أخذت اللغة المولدة طابعاً جديداً يتمثل بإدخال بعض الوحدات الصرفية على ما تمنع الفصحى دخوله كإدخال ( ال) التعريف على ألفاظ ( كل، بعض، غير) كقولهم:(الحيوانات الغير ناطقة) وفي التراكيب العددية مثل ( ما فعلت الثلاثة الأثواب)<sup>(١٦)</sup> فيعرفون الاسمين ويضيفون الأول إلى الثاني ، والصواب أن يعرف الأخير فيقال ( ما فعلت ثلاثة الأثواب ) .

وقامت العربية المولدة بإثبات ( نون التنثية ) والجمع التي تحذفها العربية الفصيحة لدلالة نحوية معينة عند الإضافة مثلاً.

٣. في التركيب النحوي : أنّ ترك الأعراب في أواخر الكلم يجعل من المتعذر تمييز الفاعل ( إلا إذا كان في صورة ضمير تميز بصيغته ) في آخر الجملة أو بعد المفعول كما يصعب معرفة وظيفة الكلمة في الجملة لذلك استعاضت عنه اللغة المولدة بترتيب آخر فلتميز الفاعل من المفعول قامت بتقديم الفاعل على الفعل الذي يأتي بعده حينما يكون الفعل متعدياً .

أما إذا كان الفعل لازماً فهو مخير بين تقديم الفعل على الفاعل أو تأخير عنه وبذلك نرى أنّ اللغة الدارجة تخلّت عن الإعراب الذي يفصح عن الوظيفة النحوية للكلمة وقد صارت الوظيفة النحوية في الإحساس اللغوي الحي موقوفة على علاقات مواضع الكلمات لا على إعرابها .

كما أنّ الخلط بين علامات الإعراب كان يُعدّ طابعاً مميزاً لطريقة الشعبي وهذا ما يوضحه الجاحظ<sup>(١٧)</sup> في الأمثلة التي أوردها نماذج للكلام الملحن:

ذهبت إلى أبو زيد ( بدل إلى أبي زيد).

رأيت أبو عمرو ( بدل أبا عمرو).

مكره أخاك لا بطل ( بدلاً من مكره أخوك لا بطل).

وإذا عزَّ أخاك فهن ( بدلاً من وإذا عزَّ أخوك فهن ) .

وكذلك ظهر اختلاط علامات الإعراب في النصوص النصرانية العربية للقرن الثالث الهجري مثل (لا يستطيع أحدا ) أو ( لا يستطيع أحد من الناس أمرٌ مثل هذا ) . ومثل ( يديك خلقتاني) بدلاً من ( خلقتني يداك )<sup>(١٨)</sup> .

ومن التعبيرات التي اقتبست من اليونانية :

أ. تركيب الألفاظ مع (لا) النافية وإدخال ( ال) عليها كقولهم : ( اللانهاية ) ( اللاضرورة).

ب. صوغ الاسم من الحرف أو الضمير مثل : الكيفيّة ، الكميّة ، الماهيّة .

ج. نقل الألفاظ الوصفية إلى الاسمية كقولهم: المائيّة ومن ذلك اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الإدارية كقولهم: ( صاحب الشرطة ) و (صاحب الستار) وهو تعبير فارسي<sup>(١٩)</sup>.

٤. في دلالة الألفاظ: وتنتضح هذه الظاهرة اللغوية من خلال ما استعمله مترجم الإنجيل للألفاظ اللغوية ودلالاتها على المعاني المستعملة في العصر العباسي الأول إذ استعملت في غير موضعها الصحيح مثل<sup>(٢٠)</sup>:

استعمال (من حيث) بمعنى (في حالة).

وكثُر استعمال (فيما) بمعنى (بينما) .

واستعمل (من حين) بمعنى ( منذ).

واستعمل أيضاً ( إلى حين) بدلاً من (حتى). وغيرها.

## المبحث الثاني

## كتب اللحن

## كتب اللحن

بعد انتقال الحكم إلى بني العباس الذين اتخذوا العراق قاعدة لهم، وبالنظر إلى الظروف التي رافقت دعوتهم ، ومن ثم تكوين دولتهم نجد الأسباب مهيأة للتخفيف من العصبية العربية التي استند إليها بنو أمية ، ولإتاحة الفرصة للاختلاط الواسع بالموالي ولاشك أن هذا الاختلاط أدى إلى اتساع اللحن وشيوعه في العراق خاصة<sup>(٢١)</sup>.

ومن هنا نقف عند بداية التصنيف في اللحن التي كانت في إقليم العراق الذي شهد من الاختلاط ما شهد وفي هذا القرن -الثاني الهجري- الذي برز فيه أعلام المصريين ( البصرة والكوفة ) من النحاة واللغويين، وإذا ما صحّت نسبة كتاب ( ما تلحن فيه العوام ) للكسائي (١٨٩هـ) فإن ذلك دليلاً على أن التأليف في موضوع اللحن كان مبكراً ومن الممكن أن يُعدّ بدايةً لحركة تنقية اللغة التي اتّسع مجالها فيما بعد وما طال الزمن حتى نرى مصنفات متعددة ظهرت في موضوع اللحن وهي لعلماء بعضهم يُعدّ من تلاميذ الكسائي كالفرّاء (٢٠٧هـ) والأصمعي ( ٢١٦هـ) وأبي عبيد بن سلام (٢٢٤هـ) وغيرهم من العلماء.

إلا أن التأليف في هذا المضمار لم يبقَ محصوراً في العراق بل امتدّ في القرن الرابع وما تلاه إلى معظم الأقاليم العربية<sup>(٢٢)</sup>، وفيما يأتي مجموعة من المصنفات التي تبدأ في أواخر القرن الثاني للهجرة وهي مقرونة بأسماء مؤلفيها بحسب الترتيب الزمني :-

- ١- ما تلحن فيه العوام للكسائي (ت ١٨٩هـ) .
- ٢- إصلاح المنطق لابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ).
- ٣- أدب الكاتب لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).
- ٤- الفصيح لثعلب (ت ٢٩١هـ).

- ٥- لحن العوام للزبيدي (ت ٣٧٩هـ) .
- ٦- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ) .
- ٧- درة الغواص في أوهام الخواص للحريزي (ت ٥١٦هـ) .
- ٨- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد (ت ٥٢١هـ) .
- ٩- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجوالقي (ت ٥٣٩هـ) .
- ١٠- المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام (ت ٥٧٧هـ) .
- ١١- تقويم اللسان لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) .
- ١٢- ذيل الفصيح للبغدادي (ت ٦٢٩هـ) .
- ١٣- الجمانة في إزالة الرطانة لابن الإمام (ت بعد ٨٢٧هـ) .
- ١٤- التنبية على غلط الجاهل والنبية لابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) .
- ١٥- بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي (ت ٩٧١هـ) .
- ١٦- شرح درة الغوص للخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) .

ويلاحظ أنّ هذه المجموعة تضمّ أهمّ مصنّفات اللحن المعروفة ، وأكثرها غنىً بالجوانب الدلالية ، ويلاحظ أيضًا ، أنّها تمتدّ زمنًا منذ القرن الثاني الذي شهد بداية التصنيف في هذا الموضوع حتى نهاية القرن العاشر الذي بدأت فيه حركة معاكسة تحتج للهجات الأمصار<sup>(٢٣)</sup> .

والحديث يجزّنا إلى أصحاب الخطأ الذين صدر منهم اللحن وتحديد مفهوم الخاصّة والعامة وارتباط ذلك بالمستوى اللغوي فالخاصّة الذين يرد ذكرهم في كتب اللحن هم علماء اللغة و الشعراء والخطباء والفقهاء والمحدّثون وأهل الطب والحكمة ومن في مستواهم<sup>(٢٤)</sup> .

أمّا العامة فهم من عدا هؤلاء من فئات المجتمع وفيهم بعض المتعلمين ، والطلاب والتجار ، وأصحاب الحرف، ويرى رمضان عبد التواب في هذا الصدد انه ( ليس المقصود من العوام هنا الدهماء وخشارة الناس وأنما المقصود بهم عند هؤلاء هم المتفقون الذين تتسرّب لغة التخاطب والحياة اليومية إلى لغتهم الفصحى في كتاباتهم أو أحاديثهم في المجالات العلميّة )<sup>(٢٥)</sup> .



ويبدو ان عبد التواب جمع بين مفهوم العامة من جهة ومصطلح (لحن العامة) من جهة أخرى حين ان دلالة عامة غدت لدينا معروفة بانطباقها على فئات معينة من المجتمع فلا يمكن قبول ما ذهب اليه عبد التواب من ان العوام عند مصنفي اللحن هم المثقفون والدليل ان معظم المصنفين يفرقون بين العامة والخاصة تفريقاً واضحاً بل ذهب بعضهم الى تحديد فئات الخاصة التي شاع لديها لحن مختلف عن لحن العامة وهو ما فعله ابن مكي الصقلي في ( تنقيف اللسان وتلقيح الجنان )<sup>(٢٦)</sup>.

واما مصطلح (لحن العامة) فهو يصدق على معظم امثلة اللحن مهما كان اصحابها ، ويبدو ان صدور اللحن بدايةً عن العامة جعل هذا المصطلح يشيع ويُعمم للدلالة على ما صدر ايضاً عن الخاصة ؛ لأنّ الأساس - كما تجمع المصنّفات - هو ظهور اللحن لدى العامة ثمّ تسرّب الى الخاصة<sup>(٢٧)</sup>.

ومع الأخذ بالترتيب الزمني نجد أنّ المؤلف الأول الذي نسب الى الكسائي وهو رسالة صغيرة ، لا يتبع ترتيباً معيناً لأنّ المسائل تتوالى فيه من غير نظام وتضم الامثلة ما يتّصل بالصرف أساساً اضافة الى امثلة قليلة تتعلّق بالجوانب الاخرى من اللحن ، وفي المصنّفات الآتية يلاحظ ان المؤلفين افردوا ما يتّصل بالدلالة بباب مستقل وهو ما تعارفوا عليه بمصطلح ( ما تضعه العامة في غير موضعه ) وما هو قريب منه ويبدو هذا الباب واضحاً لدى ( ابن السكيت ) في ( اصلاح المنطق ) ولدى ( ابن قتيبة ) ، في ( ادب الكاتب ) ، و ( ابن هشام ) الذي ردّ على الزبيدي و ( ابن مكي ) في كتابه ( المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان ) ، ولدى الجواليقي في ( التكملة ) ، و ( البغدادي ) في ( ذيل الفصيح ) ، و ( ابن الامام ) في ( الجمانة في إزالة الرطانة )<sup>(٢٨)</sup>.

اما مصنّفات : ( الفصيح ) لثعلب وشرحه للهروي ، و ( درة الغواص ) للحريري وشرحها للخفاجي و ( بحر العوام ) لابن الحنبلي فلم تُفرّد لحن الدلالة باباً مستقلاً ، على حين نهج ( الفصيح ) وشرحه نهجاً تقسيمياً ضمّ مسائل الصرف والأبنية وبعض الامثال ، ونجد ( درة الغواص ) وشرحها و ( بحر العوام ) لا تسير على نظام معلوم . ويبقى بعد ذلك مصنّفات امتازا باتباع الترتيب المعجمي وهما ( تقويم اللسان ) لابن الجوزي ، و ( التنبيه على غلط الجاهل والنبه ) لابن كمال باشا .

والآن نأتي الى المقياس الصوابي الذي اتخذه المصنفون في تصانيفهم فقد تعددت آراؤهم مما قاد الى مزيد من الخلاف والمشكلة الرئيسة في هذا المقياس هي ان معيار القبول والرفض يرتبط اساساً بما سُمع

عن العرب او عن بعضهم او ما سمّي لهجة من لهجاتهم ، وما يمكن ان يُقاس عليه في حدوده الدنيا فالخلاف يدور حول الاحتجاج بهذا الكلام الذي نُسب الى العرب او رفضه لأنه قليل او شاذ او غيره افصح منه وارى وراء ذلك سببين:

الاول:- تقدّمهم بالمعيارية ( الحرفية ) وتتمثل في الوقوف عند معاني المفردات التي وردت في اللغة حتى نهاية عصر الاحتجاج .

الثاني :- عدم التفريق بين مستويات الكلام الفصيح وعدّ اللغة مستوى واحداً من الكلام الذي لم يتصوّروا إمكان التفاوت فيه ولذلك نراهم يضعون الشعر والقرآن وكلام الناس في حيّز واحد ويحتجّون بأمتلّة تقتقر الى الترتيب الزمني من جهة ، والى التدقيق اللغوي الذي تمتّ اليه من جهة أخرى<sup>(٢٩)</sup>.

ومهما يكن فإننا نلاحظ نزعتين متعارضتين من المصنّفات آنفة الذكر وهاتان النزعتان هما :

١. نزعة التشدد في المقياس الصوابي واختيار الفصيح وحده ويمثّل هذه النزعة معظم المصنّفين الاوائل ومن تبعهم من المتأخّرين امثال ابن السكّيت وابن قُتيبة وثعلب والهروي والزبيدي والحريري والحواليقي وابن الجوزي وابن الامام يمكن ان يُعدّوا ممثّلين لها .

٢. نزعة التوسّع في المقياس والتخفف من التخطّئة بقبول ما جاء عن العرب من غير تدقيق في درجة الاحتجاج به امثال ابن مكي الصقلّي وابن هشام اللخمي وابن الحنبلي<sup>(٣٠)</sup>.

### المبحث الثالث

#### بين اللحن والتطور

هناك من قوّم اللحن في ضوء الآراء فدكتور رمضان عبد التّواب يرى أن ما عده اللغويون لحنًا و خطأً يعد تطورًا ونموًا من وجهة علم اللغة الحديث<sup>(٣١)</sup>، كذلك نجد كمال بشر يلوم علماء العربية القدامى لأنهم نظروا إلى ( التطور الذي أصاب العربية حينئذ كما لو كان ضربًا من الخطأ والانحراف يجب طرحه وإكماله وهذا المسلك مسلك غير محمود من وجهة النظر العلمية إذ هم بفعلتهم هذه قد أوصدوا أبواب البحث في وجه الدارسين من بعدهم وهكذا ظلت العربية تتغيّر وتتطوّر دون أن يُسجّل هذا التطور أو أن يلتفت إليه احد من الناس)<sup>(٣٢)</sup>.

أما أصحاب مصنفات اللحن فهم - كما يرى بشر - تناولوا هذا ( التطور ) بالدرس والمناقشة ولكن لا على انه تطور أو تغيير وإنما بوصفه لحنًا أو خطأ<sup>(٣٣)</sup> ، وكذلك يرى بعض الدارسين في سياق تلك المصنفات أمرا غير سوي إذ تتحدث عن اللحن الخطأ ساعية إلى إعادة المتجاوزين إلى جادة الصواب<sup>(٣٤)</sup> فتّمّام حسن يحمل اللغويين القدامى وزر التقصير في تسجيل التطور ؛ لأنهم انطلقوا من معيار الخطأ والصواب ( ولم تكن الموجة التي سمّوها شيوع اللحن في صدر الإسلام إلا واحدة من هذه الموجات التي التقى العرب فيها بالمتكلمين بلغات أجنبية ، واغلب الظن أن هذه الموجة لو لم تدفع العرب إلى دراسة اللغة في ذلك العصر لكانت اللغة العربية التي ندرسها الآن على صورة أخرى أحدث عهدًا في التاريخ ، ولكانت مصادر قواعدها أشعارا يمنعون الآن الاحتجاج بها في النحو واللغة).

ويبدو ان خلق العربية من التطور المسجل أو المعترف به جعل بعض المستشرقين يوجّهون نقدهم الى العلماء القدامى لأنهم لم يعتنوا الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام . والذي منعهم من ذلك - كما يقول برجستراسر ، مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده وعلى المنع عن كثير من العبارات<sup>(٣٥)</sup> وأيًا ما كانت الآراء التي ترى في مظاهر اللحن كلّها تطورًا ، تلك التي ترى تقصير العلماء في تدوين التطور المعترف به ، فإننا ننطلق في النظر إلى مظاهر اللحن من المحافظة على العربية الفصحى

، وعلى الأخذ بالتطور الدلالي الذي تحرسه القواعد المعيارية. والمنهج الذي يقوم عليه تحليل الأمثلة التي تُعدُّ من التطور يكون منهجا دلاليا على ما يأتي<sup>(٣٦)</sup>:-

١. الاحتراز من تطبيق قوانين التطور المقبول على أنظمة العربية الصوتية والمعرفية والنحوية، ولا سيما ما يتصل بالمبادئ الأساسية التي تمثل ثبات أصوات الفصحى، وانتظام قواعد الإعراب، وتركيب الجملة، واستقرار القواعد الصرفية. ولا شك في أن قدرات كبرى تكمن في قواعد النحو والصرف، مما يبعدها عما يتوهم من قصور، لأنَّ قواعد الجملة لا تقدِّم كمًّا محدودًا من الجمل والتراكيب إن خرج عنه المتكلِّم غدا مخطئًا، بل تقدم أساليب متعددة لنظم الكلام، وللمتكلم أن يختار من بينها ما يلائم غرضه ومستوى كلامه. كذلك تتصف قواعد الصرف بالحيوية الاشتقاقية مما ينأى بها عن الجمود. ومن الملاحظ أن كثيرا من الإمكانيات الاشتقاقية لم تستوفَ في جميع الصيغ . وهذه الإمكانيات تتيح المجال للصوغ القياسي لأصول لم تُدَوَّن جميع اشتقاقاتها. ومن المفيد في هذا المجال الاهتداء بما سنته مجامع اللغة العربية في هذا العصر من طرق الاشتقاق والتعريب والتوليد والنحت وغيرها<sup>(٣٧)</sup>.

٢. استشارة المعجمات القديمة في كل ما يتصل بالتطور؛ لأنَّ هذه المعجمات تمثل الأصول الإحتجاجية للتدوين، ولا شك في أن الرجوع إلى المعجمات العربية التي امتدَّت على مدى زمني طويل يحلَّ كثيرا من الإشكالات التي تعترض سبيل الدارس الذي يتصدَّى لبحث التطور . ومن الممكن أيضا أن تستشار المعجمات التي تابعت بعض جوانب التطور ، كمعجمات المصطلحات المتنوعة ، وبعض المصنفات الموسوعية. إلا أنَّ هناك قسما مما عُدَّ في اللحن له نظائر في المعجمات ويسهل رده إلى السماع وإن اختلفت درجته. ويبدو أن سبب ورود هذا النوع من الأمثلة هو نقص الاستقراء ، أو قصر المستوى الصوابي على وجه من الوجوه الفصيحة. ولذلك كلُّه نرى أن استشارة المعجمات تعيننا على تفسير بعض الأمثلة أو الحكم عليها بالإجازة أو الرفض إن شئنا<sup>(٣٨)</sup> .

٣. التفريق بين مستويات الكلام الفصيح ، وتظهر أهمية هذا التفريق حين نجد أن علماء العربية القدامى أغفلوا الفروق التي لا بدَّ من أن تلاحظ بين مستوى من الكلام وآخر ولقد مرَّ أنهم حين تصدوا للحكم على صواب الاستعمال أو خطئه راحوا يسلكون الشعر والنثر والقرآن ، وكلام الناس في حيز واحد.

٤. تخصيص الجوانب المتعلقة بالمفردات لدراسة التطور الدلالي وفق منهج علم اللغة الحديث ، ونحن نرى في هذا المجال انه كان بإمكان اللغويين القدامى إخراج هذه الجوانب من نطاق المعيارية أصلاً ؛ لأن الدلالة تنافي مبدأ الاستقرار بسبب قابليتها للتأثر بالزمن وتطور المجتمع ، وجوانبه الحضارية المتعددة. ومن الطبيعي أننا في هذه الجوانب نقبل من الدلالات الجديدة كل ما وافق خصائص العربية الفصحى من حيث الصيغ التي تبنى على قياس من اقيسة العربية. أو تلك التي تمت إلى قواعد التعريب ، وإن لم تستعملها العرب<sup>(٣٩)</sup>.

وتتضمن دراسة الجوانب الدلالية في مصنفات اللحن المحاور الآتية :-

١. العلاقة بين اللفظ والمعنى. وتتم دراسة هذه الظاهرة في ضوء المواضعة والإصطلاح الذي يتعرض لكثير من التغييرات الناتجة عن ظروف الجماعة اللغوية. ويدرس الأشكال التي تبدو فيها هذه الدلالة، وأهمها : الترادف والاشتراك والتضاد والفروق، وما يمكن أن يستخلص منها من تطور دلالي ، وكذا التعرض للجوانب الدلالية في الأبنية والأوزان وما يتصل بالاشتقاق والثروة اللفظية<sup>(٤٠)</sup>.

٢. التطور الدلالي في معاني المفردات ، ويضمّ مجالين أساسيين هما :

أ- التطور ضمن المحسوسات ويتصل به ما يتعلّق بالأصل الحسيّ للدلالة.

ب- التطور من المعنى الحسي إلى المجرد. ومن الملاحظ أن دارسي الدلالة المحدثين تبيّنوا أن المعنى يبدأ حسياً مرتبطاً بالبيئة ، ثمّ يتّسع ضمن محسوسات أخرى عن طريق المشابهة أو المجاورة أو الانتقال من مجال إلى آخر لأسباب متنوّعة متشابهة يصعبُ على الدارس حصرها، ويمكن أن تدرس ضمن حدود الأمثلة التي تتصل بها<sup>(٤١)</sup>.

أما التطور من الحسي إلى المجرد فيمثّل مرحلة متقدّمة للنمو اللغوي الذي يواكب تطوّر المجتمع والحضارة ، وما يثيره من نشاط عقلي متنوّع ، فيغدو للغة مجال من الدلالة على الحسي إلى الذهن المجرد. ومن الملاحظ أن هذا السبيل من سبل التطور يتّسع وتتضاعف خطورته في المراحل المهمة من حياة اللغة لما فيها من تطوّر في العلوم والثقافة.

٣. المجاز والاستعارة: ذهب كثير من علماء المعاني والنقاد المحدثين إلى أن المجاز والاستعارة قطبا التطور الدلالي ، وانهما طريقان مهمان لإنشاء المصطلحات ، وإطلاق التسميات . وبإمكان الدارس أن يحدد الجانب الذي يمس اللغة من المجاز الذي يمثل حقلاً دراسياً تشترك فيه علوم اللغة البلاغة ، والنقد والأسلوبية ويضم هذا الجانب قضايا المجاز، وتحول الاستعارة إلى تعبير لغوي خالٍ من الإثارة الإنفعالية ، ويضم أيضاً معظم صور المجاز المرسل ، وعلاقته المعروفة ، ولا سيما المجاورة والجزئية والكلية<sup>(٤٢)</sup>، ويضم كذلك استعارات مستمدة من أعضاء الجسم والكون والطبيعة. وفي ضوء علم الدلالة الحديث ، والمناهج اللسانية عامة ، ومع مراعاة خصائص الفصحى ومعياريته ، ولا شك في أن هذا النظر يؤول إلى الإفادة من تطور الدلالة للكشف عن المراحل الزمنية التي تلت عصور الاحتجاج وما لها من ارتباط بالبيئة والمجتمع .

### مصادر البحث ومراجعته

- الإبدال لأبي الطيب اللغوي ، تح : عز الدين التتوخي دمشق -المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٠.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة ، تح: محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢.
- اساليب البيان في القرآن، جعفر الحسيني ط ١ ذو القعدة ١٤١٣هـ مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - إيران.
- إصلاح المنطق ابن السكيت شرح وتحقيق: احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف- مصر ط ٢ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦.
- البيان والتبيين ، الجاحظ تح: عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة ط ٣ ١٩٦٨.
- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي - بيروت تح: محمد سعيد العريان.
- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ط ٢ مطبعة دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٧٨.
- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان ابن مكي الصقلي تح : عبد العزيز مطر، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦.
- تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة ، الجوالقي تح : عز الدين التتوخي ، مطبوعات المجمع العلمي - دمشق.
- التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر- نشر رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - دار الرفاعي الرياض ١٩٨٢.
- الجمانة في ازالة الرطانة ابن الإمام، تح: حسن حسني عبد الوهاب ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية - القاهرة ١٩٥٣.
- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، محمد ضاري حمادي ، منشورات وزارة الثقافة ة الاعلام ١٩٨٠ سلسلة دراسات.
- الخصائص ابن جني تح : محمد علي النجار - دار الهدى - بيروت ط ٢ د. ت.
- دراسات في علم اللغة ، كمال بشر- القسم الثاني دار المعارف - مصر. ١٩٦٩.
- دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح - دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠.
- درة الغواص في اوهام الخواص ، الحريري مطبعة الجوائب القسطنطينية ١٢٩٩هـ تح: هنريش توريبيكة ( تصوير مكتبة المثى- بغداد)
- ذيل الفصيح ، البغدادي تصحيح بدر الدين النعساني - مطبعة السعادة ط ١ ١٣٢٥ - ١٩٠٧.

- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، تح: محمد ابي الفضل ابراهيم - القاهرة دار المعارف ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣.
- العربية ، دراسة في اللغة واللهجات والأساليب ، يوهان فك - القاهرة دار الكتاب العربي - ١٩٥١ ترجمة د. عبد الحليم النجار .
- علم الدلالة العربي ، فايز الداية ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥.
- فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك دار الفكر بيروت ط ٧ ١٤٠١ - ١٩٨١.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي - مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.
- لحن العامة في ضوء الدراسات الحديثة عبد العزيز مطر - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٦ - ١٩٦٦.
- لحن العامة والتطور اللغوي رمضان عبد التواب ، دار المعارف - مصر القاهرة ١٩٦٧.
- لحن العوام ابو بكر الزبيدي ،تح: رمضان عبد التواب - مكتبة دار العروبة - القاهرة ١٩٦٤.
- اللغة بين المعيارية والوصفية تمام حسان ، دار الثقافة في الدار البيضاء ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- اللغة والنحو ، دراسات تاريخية وتحليلية ،حسن عون - الإسكندرية مطبعة رويال ١٩٥٢.
- مباحث لغوية، مناف مهدي الموسوي، دار البلاغة ١٩٩٢.د.ط.
- محاضرات في فقه اللغة ، عصام نور الدين منشورات بيضون - بيروت ط ٢٠٠٣.
- المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان ، ابن هشام اللخمي ،تح: عبد العزيز التتوخي مطبعة جامعة عين شمس ١٤٠١ - ١٩٨١.
- المدخل الى علم اللغة ، رمضان عبد التواب ،ط ١ الخانجي - مصر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢.
- المصطلح العلمي العربي محمد علي الزركان ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨.
- مصنفات اللحن والتنقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري ، احمد محمد قدّور منشورت وزارة الثقافة - سورية ١٩٩٦.
- مقاييس اللغة ابن فارس ،تح: عبد السلام هارون ط ١ ١٣٦٦.
- مناهج البحث في اللغة تمام حسان مطبعة النجاح الدار البيضاء ١٤٠٠ - ١٩٧٩.



- (١). ينظر: لحن العوام للزبيدي : ٤
- (٢). ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٣١، ومحاضرات في فقه اللغة ، د. عصام نور الدين: ٥٩. وفيه نسبة اللحن إلى الفراء .
- (٣). ينظر. اللغة بين المعيارية والوصفية، تَمَام حَسَّان: ٧٩.
- (٤). ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٣٩/٥ تح عبد السلام هارون ط ١ ١٣٦٦ هـ
- (٥). ينظر: دراسات في فقه اللغة : ١٢٧-١٢٨ .
- (٦). دراسات في فقه اللغة : ١٢٧-١٢٨.
- (٧). اللغة والنحو: ١٨٥.
- (٨). تاريخ آداب العرب ٢٣٧/١.
- (٩). ينظر: حركة التصحيح اللغوي، د. محمد ضاري حمادي: ٩.
- (١٠). ينظر: في هذا كله :مباحث لغوية، د. مناف الموسوي
- (١١). ينظر :القاموس المحيط (سرط) ٣٧٧/٢.
- (١٢). الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١٥/١.
- (١٣). ينظر : مناهج البحث في اللغة د. تَمَام حَسَّان: ١١٥.
- (١٤). ينظر: مناهج البحث في اللغة : ١١٥، المدخل إلى علم اللغة : ٣٨.
- (١٥). البيان والتبيين : ٧٠/١.
- (١٦). أنكره الحريري في دَرَّة الغَوَاص : ١٢٥.
- (١٧). البيان والتبيين : ١٦٢/١ - ١٦٣.
- (١٨). العربية ، فك : ١١٥ - ١١٨.
- (١٩). تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان: ٣٤٣ - ٣٤٤.
- (٢٠). المصدر نفسه .
- (٢١). ينظر البيان والتبيين : ١٦٢/١ - ١٦٤.
- (٢٢). ينظر لحن العامة في ضوء الدراسات الحديثة: ٥٧ وما يليها .
- (٢٣). ينظر مصنفات اللحن والتنقيف اللغوي د. أحمد محمد قَدُور : ٥٦ .
- (٢٤). ينظر لحن العامة د. مطر : ٤٠.
- (٢٥). لحن العوام للزبيدي تح : رمضان عبد التواب: ٤ (مقدمة المحقق) .
- (٢٦). ينظر مصنفات اللحن : ٥٨.
- (٢٧). المصدر نفسه.

- . ينظر إصلاح المنطق : ٢٨٤، أدب الكاتب : ٢١ ، لحن العوام ٢٠٦ وما بعدها ، تنقيف اللسان ( : ١٩٧، المدخل الى تقويم<sup>28</sup>)  
اللسان : ٣٣، التكملة ٥-٢٥، ذيل الفصيحة ١٠٠- ١٠٧ والجمانة ٣ - ٤٠ .  
(<sup>29</sup>). ينظر مصنفات اللحن : ٦٢ .  
(<sup>30</sup>). ينظر مصنفات اللحن : ٦٢ .  
(<sup>31</sup>). ينظر لحن العامة : ٣٣.  
(<sup>32</sup>). دراسات في علم اللغة : ١٢٨/٢.  
(<sup>33</sup>). المصدر نفسه : ١٢٧/٢ - ١٢٨.  
(<sup>34</sup>). ينظر علم الدلالة العربي ، فايز الداية : ٢٥٢ - ٢٥٣.  
(<sup>35</sup>). ينظر : التطور النحوي للغة العربية ٢٠٤ - ٢٠٥.  
(<sup>36</sup>) . ينظر: لحن العامة د،مطر : ٥٠. ودراسات في علم اللغة : ١٢٦-١٢٧ / ٢.  
(<sup>37</sup>) . ينظر: المصطاح العلمي محمد علي الزركان: ٥ - ١٠.  
(<sup>38</sup>). ينظر: مصنفات اللحن: ٧٥.  
(<sup>39</sup>). ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك: ٣٢٤-٣٣٩.  
(<sup>40</sup>). ينظر مصنفات اللحن: ٧٦.  
(<sup>41</sup>). ينظر المصدر نفسه: ٧٧.  
(<sup>42</sup>). ينظر: أساليب البيان في القرآن، جعفر الحسيني: ٣٩٢ - ٤٠٣ .